

## رؤية أولية لمضامين قصصية موجهة إلى أطفال الحروب في سن الطفولة المتأخرة

أ. ندى عبد الدايم الهتاري

nada.htr@hotmail.com

باحثة متخصصة في الأدب والنقد

محاضرة بجامعة عفت بجدة

### مقدمة:

تُعد قصص الأطفال أداة للمتعة والتسلية، وأداة لتثقيف الطفل وزيادة الوعي لديه، لأنها تتيح له الاطلاع على مشكلات الحياة وصعوباتها التي يواجهها الآخرون، وتختصر عليه عيش تجارب الآخرين وخبراتهم، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة التي تسعى إلى إعادة النظر في المضامين القصصية العربية الموجهة إلى الأطفال في سن الطفولة المتأخرة، لتكون هذه القصص أكثر مواكبة مع الواقع العربي المعاصر، خاصة ذلك الواقع المرتبط بالحروب، وما فيه من متغيرات وتحديات ومشكلات تواجه الطفل العربي، وذلك من أجل بناء شخصيته، وإشباع بعض احتياجاته، والإجابة عن تساؤلاته، وتصحيح ما تسبب به الواقع المعاصر من آثار عملت على خلخلة التوازن النفسي لديه.

تهدف هذه الدراسة إلى التوصل لرؤية أولية لمضامين قصصية موجهة إلى أطفال الحروب في سن الطفولة المتأخرة، تساهم في إعادة التوازن النفسي لدى الطفل في ظل هذا الواقع الجديد، ولتحقيق هذا الهدف تناولت الدراسة خصائص النمو لدى الأطفال في سن الطفولة المتأخرة واحتياجاتهم النفسية والجسدية والعقلية والاجتماعية، وتناولت ما قد يعترض هذه الاحتياجات من انتكاسات ناجمة عن تأثر الأطفال بالحروب بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبناءً على ذلك توصلت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات لمضامين قصصية تتلاءم وواقع الحروب، وما فيه من تحديات يواجهها الطفل.

ومشكلة هذه الدراسة جاءت بعد الاطلاع على قصص الأطفال المنشورة في السنوات الأخيرة ما بين عامي 2013 و2015، الموجودة في معرض الكتاب المقام بجدة في نهاية عام 2015، حيث تمت ملاحظة قصور الكثير من قصص الأطفال المتوافرة عن مواكبة واقع الطفل المعاصر، ومن هذا الجانب جاءت فكرة طرح هذه الإشكالية على شكل دراسة أولية.

وتحتوي الدراسة على خصائص نمو الطفولة المتأخرة، واحتياجاتها النفسية وعلاقة ذلك بالكتابة القصصية، كما يتناول ما يطرأ على هذه الخصائص والاحتياجات من انتكاسات نفسية تواجه أطفال الحروب المتأثرين بها، وبناءً على ذلك ستقترح الدراسة بعض المضامين الفكرية الموجهة إلى أطفال الحروب.

### حاجات النمو والكتابة القصصية:

تساعد دراسة تطورات النمو لدى الأطفال على الفهم العميق لاحتياجات الطفل المختلفة، وهذا أمر يُساهم في عملية الكتابة القصصية المناسبة للأطفال وفقاً للمرحلة العمرية وتطوراتها المختلفة التي يمرون بها، فتكون القصة بناءً على ذلك مثيراً متعة للطفل، كما تساهم في النمو النفسي السليم له (عبد الوهاب، 2006).

وقد قُسم أدب الأطفال بناءً على مراحل الطفولة التي تختلف من مرحلة إلى مرحلة أخرى كالآتي: مرحلة الطفولة الباكرة الأولى (حتى 3 سنوات)، ومرحلة الطفولة الثانية (3-6 سنوات)، ومرحلة الطفولة المتوسطة (6-9 سنوات)، ومرحلة الطفولة المتأخرة (9-13 سنة) (خضر وبابكر، 2007). وفي هذه الدراسة سيتم التركيز على خصائص مرحلة الطفولة المتأخرة وما يتعلق بها من أدب خاص، لأن هذه المرحلة هي التي يكتسب فيها الطفل القدرة على القراءة الحقيقية (الملحم، 1979).

ولهذه المرحلة العمرية خصائص وسمات تميزها عن المراحل الأخرى، وهي خصائص تختص بالنمو الجسمي والحسي، والنمو العقلي، والنمو الانفعالي، والنمو الاجتماعي، كما يتضح ذلك في الآتي:

#### النمو الجسمي والحسي:

في مرحلة الطفولة المتأخرة يلاحظ النمو الجسمي والفيسيولوجي البطيء المستمر، على عكس النمو العقلي والإدراكي والاجتماعي للطفل، كما تزداد مهارة الطفل الحركية في التعامل مع الأشياء، وتزداد أهمية مهاراته الجسمية التي تؤثر على مكانته وعلاقته بين الأقران، فتسهم في تكوين مفهوم إيجابي للذات، وفي النمو الحسي تتضح القدرة على الإدراك الحسي من خلال بعض العمليات الحسية، حيث يتجه التوافق البصري والسمعي واللمسي والشمي والتذوقي نحو الاكتمال بالتدريب في نهاية المرحلة (عبد الوهاب، 2006).

#### النمو العقلي:

يتميز النمو العقلي في مرحلة الطفولة المتأخرة بالسرعة من حيث القدرة على التعلم أو التذكر أو التفكير أو التخيل، بالإضافة إلى نمو الذكاء ونمو المفاهيم، ويتأثر هذا النمو العقلي بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي ينشأ فيها الطفل (عبد الوهاب، 2006).

ويرى بياجيه أن الطفل في هذا العمر يتناقص تركزه حول الذات، ويكون قادراً على إدراك العلاقات البسيطة والعلاقات المركبة في تعامله مع الأشياء، وقادراً على تطبيق المبادئ والقوانين المنطقية في عمليات التفكير العينية (عويس، 2003).

ويستطيع طفل هذه المرحلة أن يفكر تفكيراً مجرداً، كما يستطيع إدراك بعض المفاهيم والقيم الخلقية بصورة مجردة غير مرتبطة بمواقف خاصة أو بملازمات معينة، والتخيل في هذه المرحلة يختلف عن المراحل العمرية السابقة من النمو، فإذا كان التخيل في مرحلة الطفولة المبكرة لا يتقيد بقوانين الطبيعة وإمكانات البشر، فإن التخيل في هذه المرحلة مرتبط بالواقع ومقيد بقوانين الطبيعة (كفافي، 1998)، لذلك يقابل هذه المرحلة في الأدب ما يسمى بطور البطولة والمغامرة حيث «يميل الناشئ عن الأمور الخيالية والوجدانية إلى حد ما، ويُعنى بالحقيقة الواقعية، فيميل إلى قصص المغامرات والشجاعة والعنف، والقصص البوليسية كقصص الرحالة والمكتشفين» (علي، 2013: 10).

ويتميز النمو العقلي لطفل هذه المرحلة بـ «حب الاستطلاع، وكثرة الأسئلة، والإصرار على الحصول على إجابات الأسئلة، ويؤدي ذلك إلى حصوله على معلومات متنوعة وعديدة، كما أن الطفل في هذه المرحلة قادر على التفكير المنطقي وربط الأسباب بالنتائج» (أحمد، 2002: 112)، وطفل هذه المرحلة قادر على التفكير الاستدلالي أو القياسي الذي يعتمد على استنباط أو استخلاص قضية من القضايا، كما يمتاز أطفال هذه المرحلة بالتفكير النقدي، حيث يستطيعون تبيين نقاط الصحة ونقاط الخطأ أو الضعف في التفكير، فالطفل في نهاية المرحلة يستطيع أن يكتشف بعض المغالطات أو التناقضات في قصة تحكى له (كفافي، 1998).

### النمو الانفعالي:

تتجه الحياة الانفعالية لدى طفل مرحلة الطفولة المتأخرة إلى مزيد من الاستقرار والهدوء النسبي بعد بروز شخصيته، وازدياد قدرته على الضبط، وهذا الهدوء الانفعالي يكون بسبب اتساع دائرة اتصال الطفل بالعالم الخارجي، ولأن تفكير الطفل اتجه إلى المحيط المدرسي، فبدأ يدرك أن بعض التصرفات الانفعالية المرافقة للغضب أو الغيرة هي مظهر من مظاهر طفولة المنزل التي لا تليق بطفل المدرسة، بالإضافة إلى ازدياد قواه الجسمية والعقلية ونمو لغته التي يستغني بها عن كثير من التعبيرات الانفعالية الأولى، ورغبته في التشبه بالكبار وحاجته للاجتماع بالآخرين (عويس، 2003)، كما يتعلم الأطفال في هذه المرحلة كيف يعملون على إشباع حاجاتهم بطريقة بناءة أكثر من ذي قبل (عبد الوهاب، 2006).

### النمو الاجتماعي:

يتجه النمو الاجتماعي في طفل مرحلة الطفولة المتأخرة نحو الاستقلالية، وتتسع دائرة ميوله واتجاهاته، ويزيد الوعي الاجتماعي لديه، كما يميل نحو القيام بالمهام والمسؤوليات الاجتماعية (عبد الوهاب، 2006)، وتزداد مظاهر النمو الاجتماعي لدى هذه المرحلة، فيتابع الطفل ما يجري في وسط الكبار من جنسه، كما يظهر تقدماً في لعبه فبعد أن كان لعبه انعزالياً فردياً في طفولته المبكرة، يصبح لعبه جماعياً يعمل على تحقيق هدف مشترك (كفاي، 1998).

ويرى أريكسون أن الطفل الذي يمتد من السادسة وحتى سن البلوغ يريد أن يحقق ذاته داخل الجماعة التي يعيش وسطها، فيبدأ في إنجاز بعض الأعمال الحقيقية، مع الهدوء الانفعالي من أجل أن يحقق الطفل في هذه المرحلة مكانة اجتماعية، لذلك يجب أن تتاح للطفل فرصة الإنجاز الحقيقية في الأسرة والمدرسة مع الابتعاد عن التوجيهات اللائمة أو الساخرة (هليل، 2005).

ولأن الطفل في هذه المرحلة يكون قد استقل عن الاستعانة بالكبار في الحصول على حاجاته من جانب، وقد تضخم الإحساس بنوعه وبذاته من جانب آخر، فإن السمة المميزة له في هذه المرحلة هي الميل إلى التمرد والتفرد، وبذلك تكون البطولة هي الحلم الذي يعتنقه ويتمنى أن يحققه في نفسه ويزن به الأشخاص، ويتعلق على أساسه بمن يتخذهم قدوة له (عبد الله، 2001)، وبهذا يكون الطفل في هذه المرحلة «على استعداد كبير للتأثر بما يسمعه من الآخرين خاصة ممن يكبرونه سناً أو يشغلون أدواراً أو مراكز مهمة بالنسبة له، ... ويكون الطفل شديد التأثر بمن يشغل هذا الدور بحيث إنه يمكن أن يغير من آرائه واتجاهاته حسب رغبات واتجاهات هذا الآخر. وواضح أن الطفل في هذا الوقت يقوم بعملية توحد مع نموذج معين، والنموذج هو الشخص الذي يتأثر به الطفل» (كفاي، 1998: 36-39)، وهذا التوحد مع النموذج لا يكون قاصراً على الأفراد فقط، وإنما قد يتوحد الطفل مع الجماعات والمؤسسات، فمثلاً قد يشعر الطفل بالفخر لأن مدرسته فازت في المباراة حتى ولو لم يكن لاعباً في الفريق (سمارة والنمر والحسن، 1989).

وهذه التغييرات النمائية التي يمر بها طفل هذه المرحلة تحكمها مجموعة من الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بالطفل، والمقصود بالظروف الداخلية هي العوامل الفطرية التي يزود بها الإنسان منذ الولادة، وأما الظروف الخارجية فهي العوامل التي تتعلق بالبيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية وغيرها التي يتفاعل معها الطفل تأثيراً وتأثراً (عويس، 2003).

وبهذا فإن سمات النمو السابق ذكرها في مرحلة الطفولة المتأخرة تؤثر بشكل كبير على شخصية الطفل، وبناءه النفسي، فمتى ما نما الطفل في ظروف جسمية وحسية

وعقلية وانفعالية واجتماعية صحية، كبر الطفل بشخصية متوازنة نفسياً، ومتى ما تعرض الطفل لظروف تعيق من هذا النمو، تشكل لدى الطفل آثاراً سلبية قد تؤرق نموه النفسي، لذلك لابد من مراعاة الاحتياجات الخاصة للطفل لكي ينمو بصحة نفسية جيدة، يتمكن من خلالها أن يكون عضواً فعالاً في المجتمع.

ومن أجل فهم هذه الاحتياجات الخاصة لمرحلة الطفولة المتأخرة والأدب الخاص به، يمكن الرجوع إلى نظريات علماء النفس التي لها مدلولات قد تساعد على توجيه ثقافة الطفل وأدابه، ومن أبرز هؤلاء العلماء ماسلو الذي اهتم بتحقيق الذات كدافع للنمو والتطور بالنسبة للفرد، وأريكسون الذي ركز على تطوير الذات من خلال التفاعل مع المجتمع، وبياجيه الذي كتب عن تطور الإدراك المعرفي عند الأطفال وربطه بالتطور النفسي، وكوهلبيرج الذي اهتم بالنمو الخلقى أو القيمي، بالإضافة إلى بندورا الذي وجه اهتمامه نحو تأثير النماذج الاجتماعية على سلوك الأفراد وتعلمهم (عويس، 1994).

وفيما يلي سيتم التركيز على أبرز الاحتياجات النفسية للطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة عن طريق الاستعانة بما جاء به ماسلو من حاجات للإنسان رتبها على شكل هرمي، قاعدته الحاجات الفسيولوجية والأساسية، ورأسه الحاجة إلى تحقيق الذات كما يوضحه الشكل الهرمي الآتي:



حاول ماسلو من خلال نظريته أن يفسر طبيعة الدوافع أو الحاجات التي تحرك السلوك الإنساني وتشكله، ففي هذه النظرية «يفترض ماسلو أن الحاجات أو الدوافع الإنسانية تنتظم في تدرج أو نظام متصاعد من حيث الأولوية أو شدة التأثير، فعندما تشبع الحاجات الأكثر أولوية أو الأعظم قوة وإحاحاً فإن الحاجات التالية في التدرج الهرمي تبرز وتطلب الإشباع هي الأخرى، وعندما تشبع نكون قد صعدنا درجة أعلى على سلم الدوافع، وهكذا حتى نصل إلى قمته» (عرفة، 1984: 47-48). ويرى ماسلو أن قائمته التي تأخذ شكل الترتيب الهرمي لابد أن يكون إشباع الحاجات فيها مبنياً على بعضها البعض، فلا بد من إشباع الحاجة الأولى بشكل معقول حتى يتم إشباع الحاجة التي تليها (طعيمة، 2001).

ومن خلال هذه الحاجات النفسية التي جاء بها ماسلو استخلص علماء التربية أهم الاحتياجات النفسية للأطفال، أولها: الحاجة إلى السعادة والرفاهية الطبيعية (الجسمية) من خلال ما يحصل عليه الطفل من والديه من الغذاء والراحة، علماً بأن إشباع هذه الرغبات يعطي إحساساً بالأمن لدى الصغار، وثانيها: الحاجة إلى الحب المتبادل، وهذه الحاجة غاية في الإلحاح لدرجة أنه إذا تعثر إشباعها في ناحية بحثت

عن اتجاه آخر للإشباع مثل حب الحيوانات والنباتات والأشياء. وثالثها: الحاجة إلى الانتماء التي تنشأ بعد إشباع الحاجة إلى الطمانينة والحب، فكل كائن بشري يسعى لأن يكون عضواً في جماعة، والأطفال غالباً ينطلقون من الانتماء العائلي إلى الانتماء إلى الأصدقاء والمدرسة أو الجماعة في المدينة التي يسكنها أو إلى جماعة في مدينة أخرى. ورابعها: الحاجة إلى بلوغ الكفاءة فتفاعل الطفل مع البيئة بكفاءة قوة فطرية دافعة إلى السلوك، وكلما نما الطفل تنمو معه النشاطات البدنية أو الفكرية المعقدة، وهو يسعى في كل ذلك إلى الكفاءة، وكما تؤدي الكفاءة إلى الارتياح فإن الإعاقة أو الفشل يؤدي إلى عدم الارتياح. وخامسها: حاجة الأطفال إلى المعرفة التي تظهر من خلال كثرة توجيه الأسئلة، ويحتاج الطفل إلى أن يكتسب عادة التنقيب بنفسه عن المعلومات ليشتعر بالطمانينة الفكرية، فحب الاستطلاع عند الطفل يجعله يتعلم، ويكتسب هذه المهارة بيسر وسهولة (عويس، 2003).

وبناءً على ما سبق، فإن طفل هذه المرحلة بحاجة إلى مجموعة من الاحتياجات المختلفة التي يتزامن وجودها مع خصائص وسمات هذه المرحلة العمرية من أجل تعزيز نمو الطفل الصحي والنفسي، وفي حالة وجود خلل ما في الاحتياجات النفسية بسبب ظروف داخلية أو خارجية فإن ميزان النمو النفسي لدى الطفل يكون أكثر عرضة للخلل كما سيتضح ذلك حينما نعرض واقع الطفل العربي المعاصر وما فيه من ظروف وسيئات مختلفة أثرت على خصائص النمو لدى الطفل.

### الطفولة وواقع الحرب:

من أبرز القضايا التي تواجه الطفل العربي منذ السنوات الأخيرة، وتود هذه الدراسة التركيز عليها هي ثورات الربيع العربي التي ابتدأت منذ عام 2010، في تونس وامتدت إلى معظم البلدان العربية وقد نجم عنها آثار وتحديات ومشكلات جديدة تواجه الطفل العربي المعاصر، خاصة حينما تطورت أحداثها، وكبرت نتائجها في عدد من البلدان العربية، فباتت الطفولة في العالم العربي تعاني الكثير من الأزمات في ظل ما تشاهده من حروب قاسية، وأحداث سياسية متلاحقة، ونزاعات مسلحة، بسبب تعصبات عربية وطائفية، وقبلية، وثقافية، وسياسية، وعقائدية، كان ضحيتها في الدرجة الأولى هم الأطفال. وبهذا، فإن نسبة كبيرة من الأطفال في العالم العربي يعيشون فترة تكوينهم النفسي والعقلي في ظل مفاهيم تبيح القتل والتدمير، ولا ترى السلام طريقة عيش ومنهج حياة.

في ظل هذا الواقع العربي الذي يعيشه الطفل العربي، والصراع الجديد الذي يمثله طرفي السلطة والشعب، يلاحظ أن معظم أطفال البلدان العربية ينقسمون إلى قسمين: قسم منهم تعرض لهذه الفوضى السياسية بصورة مباشرة، وقسم منهم تعرض لها بصورة غير مباشرة عن طريق ما تعرضه وسائل الإعلام والأجهزة الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي، فأصبح بذلك معظم أطفال العالم العربي عرضة للتأثيرات الناجمة عن هذه الصراعات، وكلا القسمين لهم ظروفهم وخصوصيتهم النفسية<sup>1</sup> وفيما يلي تفصيل لذلك:

### أولاً - الطفل والتأثير المباشر:

تعيش نسبة من أطفال العالم العربي وسط ظروف حربية تخوضها شعوبهم مع السلطة، فيكونون بذلك عرضة مباشرة لآثارها، ويمكن أن يكون أول ما يواجهه الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة هي تلك العلاقة الجديدة المتوترة التي باتت تربط السلطة بالشعب، وتطورت حتى وصلت إلى نزاعات مسلحة بين الطرفين، في حين أنها كانت

1- وذلك لا يعني أن جميع أطفال العالم العربي ينتمون إلى هذين القسمين، بل هنالك بعض الأطفال البعيدين تماماً عن مشاهدة هذا الواقع.

علاقة مقدسة تتضح من خلال المناهج الدراسية، والأغاني الوطنية التي يرددونها، وبهذا، أصبح الطفل العربي أمام منعطف خطير يؤثر على نفسيته.

وقد أشار بحث: (الحرب واضطراب السلوك عند الأطفال) إلى عدد من الدراسات التي تناولت الآثار المدمرة للحروب وما ينجم عنها من تأثير سلبي على النمو النفسي والاجتماعي للأطفال، وعلى نظرتهم العامة للحياة، كما أشارت هذه الدراسات إلى تأثير الحرب على معتقدات الطفل ونموه الأخلاقي، وما تتسبب به من اضطرابات على شخصية الطفل وأنماط سلوكه مثل الانعزال وممارسات العنف والسلوك العدواني، واضطرابات النوم والأحلام المزعجة وعادة قضم الأظافر، والعصبية والذعر عند سماع الأصوات العالية المشابهة للطلقات النارية، واضطراب سلوكهم وازدياد العناد واللامبالاة (نذر، 2000).

وفي وسط هذا الواقع الجديد الذي يعيشه الطفل العربي في هذه المرحلة العمرية فإن خصائص نمو الطفل التي ذكرناها سابقاً تكون عرضة للتأثر خاصة أن هؤلاء الأطفال يقاسون ألم الحروب بصورة مباشرة فيسمعون أصوات الانفجارات، وبعضهم تتدمر منازلهم، ومنهم من يفقد بعض أعضائه، وآخرون يفقدون ذويهم، ومنهم من يشاهد صنف التعذيب والقتال.

ومن أبرز الخصائص التي يتأثر فيها نمو الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة هو الخلل الذي سيحدث في الجانب الحركي والجسمي والحسي لديه، فالطفل في هذه المرحلة يمتاز بالحركة والنشاط، ولكن ظروف الحرب تؤدي إلى إعاقة حركته إما عن طريق مكوثه في المنزل وعدم قدرته على ممارسة نشاطاته بصورة طبيعية، أو عن طريق ما يحدث له من إعاقات جسدية بسبب الانفجارات والحروب التي تؤدي إلى فقدان بعض الأعضاء، وبترها، أو فقدان بعض الحواس، وتشوه الجزء الآخر منها، وفي الجانب الحسي يرى العالم النفسي النرويجي (رون ستوفلاند) أن «من شأن الذكريات الحسية الحادة أن تترك عقابيلها البدنية الواضحة، وتجعل الصدمة التي يتعرض لها يتذكر الحدث بأدق تفاصيله، حيث تتكرر مشاهدته أمام عينيه كالصور السينمائية تماماً، فيسمع أصوات الانفجارات، والصراخ، ويشم الروائح التي كانت منتشرة خلال الحدث» (الدنيا، 1994: 201).

ويتأثر كذلك النمو العقلي لدى الطفل في وسط الحروب، حيث يتأخر تعليمهم بسبب ما يتبع الحروب من إغلاق للمدارس وتفش للجهل، كما يتأثر التذكر لدى الطفل، فيصبح تذكره منصباً على الأحداث المؤلمة، بالإضافة إلى الخيالات المرعبة التي تجتاحه، وفي سياق ذلك يرى (ستوفلاند) أن من أبرز الأعراض الخارجية للصدمة الداخلية إزاء الحروب هو فقدان التركيز الناجم عن قوة التذكر الذي يجعل الطفل يفقد كل اتصال له بالواقع المعاش، فيؤدي ذلك إلى الأرق والكوابيس المستمرة، بالإضافة إلى شعوره بالذنب إزاء ما حدث لأنه لم يستطع إيقافه، أو لأنه نجا، كما يرى أنه إذا كانت صورة المأساة التي عاشها أو يعيشها الطفل قوية، فإنه يبدو وكأنه مشدود على الدوام نحو الخلف، نحو الماضي، مما يعيقه عن الالتفات نحو المستقبل (الدنيا، 1994).

ويتأثر النمو الانفعالي لدى طفل الحروب في مرحلة الطفولة المتأخرة، فبعد أن كانت انفعالات الطفل تمتاز بالثبات والهدوء فإن الواقع العربي المعاصر المفروض عليه يؤدي إلى اضطراب مشاعره الانفعالية، فتزداد لديه مشاعر الخوف، والحزن، و....، أما نموه الاجتماعي فسيتأثر كذلك من خلال مجتمعه الجديد الذي سينتمي إليه وهو مجتمع الحرب، وما فيه من أفكار، فإن أراد أن يحقق وجوده داخل الجماعة فعليه أن يبحث عن شيء جديد ينجزه ليثبت ذاته، وفرص الإنجاز وسط الحرب محدودة، وفي منتهى الصعوبة لقلة الموارد. وبذلك من الصعوبة أن يتميز طفل هذه المرحلة بالتمرد والتفرد، كما ستختلف موازين اختياره للقدوة آنذاك، فهو يحتاج إلى البحث عن قائد حقيقي

يتوحد معه قادر على تخليصه مما هو فيه، وهذا ما يبرر انضمام صغار السن إلى منظمات جهادية لسهولة التأثر عليهم.

ونتيجة للتأثر السني الذي تمر به خصائص الطفولة بسبب واقع الطفل المعاصر فإن سلم احتياجات الطفل الذي جاء به ماسلو سوف يتدهور نحو الأسوأ، فمثلاً يصعب إشباع حاجات الطفل الفسيولوجية والجسدية في ظل الحروب كحاجته إلى الطعام والشراب والمسكن والحاجة إلى النوم، حيث تهدم المنازل وتنتشر المجاعات، كما يصبح الأمن متعزراً لدى أطفال الحروب، فينتشر بينهم الخوف والفرع وترقب الموت، والطفل في هذه الحالة يكون بأمس الحاجة إلى الحب من أسرته ومحيطه ومجتمعه، وهذه الحاجة قد تتعذر كذلك إذا فقد الطفل العائل الوحيد له، كما تتأثر حاجة الانتماء لدى الطفل وتحديداً الانتماء لوطنه، فيصبح الطفل أكثر غربة عن غيره خاصة إذا كان من الأطفال اللاجئين ومرفوضاً من بعض الدول، كما تبدأ انتماءاته تتغير بفعل آثار الحروب، فهو يبحث عن الجماعة الأقوى التي تشعره بالإنجاز والكفاءة، وتحقيق ذاته في ظل هذه الأوضاع، خاصة أن الحصول على التقدير وتأكيد الذات في ظل ظروف الحرب يكون محدوداً جداً، وللمحظوظين فقط.

### ثانياً. الطفل والتأثير غير المباشر:

يتعرض الطفل العربي للاضطرابات السياسية والنزاعات المسلحة بصورة غير مباشرة عن طريق ما تبثه وسائل الإعلام من حروب وقتل ودمار وعنفت تتعرض له بعض المجتمعات في البلدان الأخرى، وهذه الأجواء التي تعرضها وسائل الإعلام تكون أجواء مثقلة بالعنف والدمار، وهذا أمر يؤثر على نفسية الطفل وسلوكه، إذ «ليس من الضروري أن يكون الطفل ضحية مباشرة للعنف ليتأثر به، فمراقبته للعنف ذات تأثير فعال عليه، يشابه تأثير العنف المباشر» (الهييتي، 2003: 136).

إن مشاهدة الأطفال للمشاهد المرعبة والحروب قد تدمر وجودهم الداخلي، وقد يفقدون الإحساس بالأمن والثقة بالنفس والاطمئنان إلى الحياة برمتها، كما أن لهذه المشاهد التي يرونها تصيب الآخرين تؤثر على طبع سلوك الأطفال بالعدوانية والميل إلى ممارسة العنف كوسيلة للدفاع عن الذات (أرمينيان، 1986)، خاصة تلك المشاهد التي تتعلق برويتهم لأطفال لهم لاجئين مع ذويهم، أو آخرين اقتصدوا الأهل والأرض، أو آخرين قتلوا لهم، أو بترت أعضاؤهم بسبب المقذوفات، أو أطفالاً قد تعرضوا لظروف قاسية ومعاملة سيئة، وأطفالاً قد أنهك الفقر والجوع أجسادهم، فهذه المشاهد كلها تزيد القلق في نفوس الأطفال، وتزيد من مخاوفهم، وتؤثر على مشاعرهم وتفكيرهم وسلوكهم، وتجعلهم «يميلون إلى التحيز والتعصب في فترة مبكرة من العمر، وهذا أمر يقود إلى تبلور بذور لاتخاذ أحكام قطعية، أو الميل إلى المغالاة والتطرف إزاء الأشياء، أو الأشخاص، أو بعض الموضوعات» (الهييتي، 2003: 136-137).

وترى الدكتورة (داليا الشيمي) أن مشاهدة الأطفال للحروب في وسائل الإعلام تؤدي إلى نوبات من الخوف والفرع، واختلاط المفاهيم بين الصواب والخطأ والحرب والسلام، وفقدان السلام النفسي، والانزواء وعدم الرغبة في التواصل، والالتصاق بالوالدين، وضعف التركيز وتشتت الانتباه، واضطراب علاقة الطفل بالسلطة وممثليها من الأسرة والمعلمين، وفقدان الثقة في الذات، وتقهر ما اكتسبه الطفل بفعل النمو كالرجوع إلى التبول الإرادي، ومص الأصابع، والتلعثم (الشيمي، 2009).

ومشاهدة الأطفال لمظاهر العنف تجعل الأطفال يميلون إلى اللامبالاة العاطفية من خلال تكرار مشاهد النزاعات المسلحة وما ينتج عنها، فمع مرور الوقت يقلل اكتراث الأطفال بما يحصل من أحداث واقعية في الحياة اليومية، فتكون ردود أفعالهم عابرة لبعض الأحداث المؤلمة، وهذه اللامبالاة العاطفية قد تقود إلى قدر من التبلد العاطفي وإضعاف مستوى النمو الانفعالي للطفل، فلا يتوحد مع بعض المواقف التي تتطلب ذلك،

مما يعد خروجاً عما تسعى إليه التربية العاطفية، ومن بين التأثيرات كذلك دخول الأطفال إلى عالم الكبار قبل الأوان، وهو عالم غريب في ثقافته عن عالم الأطفال (مرسي، 2004).

وبناءً على ما سبق فإن الواقع الجديد الذي يمر به الطفل العربي يفرض عليه تساؤلات جديدة، خاصة أن طفل مرحلة الطفولة المتأخرة يمتاز بحب الاستطلاع وكثرة الأسئلة، فهو يتساءل عن مستقبله ومستقبل الأطفال الآخرين، عن مصيرهم، عن أسباب اضطهادهم، عن العلاقة المتوترة بين الشعب والسلطة، عن القيم الأخلاقية، ويحاول أن يربط بين أسباب ما يحدث بالنتائج.

### قصص أطفال الحروب: الرؤية والمقترحات:

في البدء لابد من الإشارة إلى مفهوم كل من القصة والمضامين التي تعنيهما هذه الدراسة، فيقصد بالقصة: «كل ما يكتب للأطفال نثرياً بقصد الإمتاع أو التسلية أو التثقيف، وتروي أحداثاً وقعت لشخصيات معينة سواء أكانت هذه الشخصيات واقعية أم خيالية، وسواء أكانت تنتمي لعالم الكائنات الحية أم الجان» (طعيمة، 2001: 53)، أما المضمون فهو «كل ما يقدمه الكتاب للطفل من فكر وعلم ومعرفة وخيال وقيم وانطباعات واتجاهات ونماذج للتصرف وأنماط السلوك» (نجيب، 1979: 33). وبهذا فإن هذه الدراسة ستركز على المضامين الفكرية التي لابد أن تحتوي عليها القصص، وما يحيط بها من سياقات مختلفة.

هذه المضامين الفكرية لابد أن تتلاءم مع واقع طفل الحرب وما يعانيه من أزمات وانفعالات نفسية تقدم ذكرها سابقاً، وذلك من خلال التركيز على المضامين التي تسهم في إعادة التوازن النفسي عن طريق توظيف بعض النظريات النفسية، التي يمكن أن تساعد المختصين بأدب الأطفال من صياغة قصص تتلاءم مع هذا الواقع المفروض على الطفل العربي، فتكون تلك المضامين لبنة أولى لتأسيس أدب خاص يعنى بأطفال الحروب.

لهذا، تحاول هذه المضامين أن تحقق أهدافاً معينة، فالقصة وإن كانت وسيلة من وسائل المتعة للطفل فهي كذلك وسيلة تعليمية وتثقيفية وعلاجية، فمنها يستمد الطفل القيم والأخلاقيات، وتنمي في نفسه العزيمة وتغرس فيه حب الانتماء، كما تزوده بالمعلومات، وهي وسيلة لتنمية التفكير لما تتطلبه من الفهم والتركيز والتطبيق والتحليل (زهران، 2014)، كما وتؤثر القصة بشكل كبير في تنمية شخصيات الأطفال، لأنها تساعدهم في أن يعيشوا خبرات الآخرين، ومن ثم تتسع خبراتهم الشخصية وتعمق، وتتيح القصة للأطفال معرفة المشكلات التي يتعرض لها الأطفال الآخرين، فيتشاركون بتعاطف شديد مع مشكلاتهم وصعوبات الحياة التي يمرون بها، ويعرفون كيف يواجهونها وهذا أمر يزيد من ثقتهم بأنفسهم، كما توسع القصة آفاق الأطفال، وتجعل منهم شخصيات تتقبل الآخر المغاير عنهم، وعن ثقافتهم، وتعمل على احترامهم (طعيمة، 2001).

وبالنظر إلى مجموعة من النماذج القصصية الصادرة من عام 2013 إلى عام 2015، والتي كانت متوافرة في معرض الكتاب المقام بجدة في نهاية عام 2015 - يلاحظ أنها لم تنطرق إلى مضامين مخصوصة لأطفال الحروب، ولكنها في المقابل كانت تحوي قيماً مختلفة من الصدق والعدالة والتعاون والمحبة والانتماء والسلام والتسامح، كالمجموعات

القصصية التي كتبتها عبير أنور<sup>2</sup>، وبعض القصص كانت تكشف عن شخصيات بطولية وإنجازاتها، كالمجموعة القصصية التي تحمل عنوان (اختراعات وراءها قصص) لمحمد صبري (2014)<sup>3</sup>، وقصص أخرى كانت تتعرض لمخاوف الطفل وبعض تساؤلاته، كما تساعده على التخلص من المشاعر السلبية كقصة إيمان الخطيب (2014) المعنونة بـ: (أنا أحس أنا إنسان)<sup>4</sup>، وهذه المضامين بصورة مجملية تعد مضاميناً أساسية يحتاج إليها أطفال الحروب، ولكن الإشكالية الحقيقية في مثل هذه المضامين أنها تغفل عن السياقات المحيطة بطفل الحرب، فمثلاً الدعوة إلى القيم الأخلاقية لطفل يعيش في وضع آمن يختلف عن تعزيزها في طفل يعيش ظروفاً حربية، ومخاوف الطفل الآمن تختلف عن مخاوف الأطفال المتأثرين بالحروب، لذلك قصص أطفال الحروب بحاجة إلى مضامين قصصية مخصصة تتناسب مع السياق ذاته الذي يعيش فيه الطفل المعاصر المتأثر بالحروب.

وقبل البدء في اقتراح مضامين قصصية موجهة إلى الأطفال المتأثرين بالحروب في سن الطفولة المتأخرة لابد من التركيز على نقطتين مهمتين، الأولى على مستوى الشخصية القصصية، والثانية على مستوى الحدث القصصي:

### أولاً - الشخصية القصصية:

إن من خصائص هذه المرحلة توحيد الطفل، وتقصصه للشخصيات التي تماثله، لذلك لابد من اختيار الشخصيات المناسبة لأطفال الحرب التي من الممكن أن يتوحد معها الطفل فيتقمصها، و«يسقط مشاعره وأفكاره عليها» (رفاعي، 2013: 56)، فمن خلال هذه الشخصية «يستطيع الطفل أن يرى التماثلات والتشابهات بين مشكلته هو شخصياً، ومشكلات الآخرين، كما تساعد الطفل على أن يتقبل مشكلته، وأن يبحث لها عن حلول جديدة، وأن يبتكر أساليب عديدة للتعامل معها تمهيداً للتغلب عليها» (إبراهيم، الدخيل، إبراهيم، 1978: 26).

وعند اختيار الشخصيات التي يتوحد معها الطفل لابد من اختيار شخصيات واضحة وصريحة وبسيطة ومطابقة لنموذج من غير تعقيدات أو تفردات، وتكون قادرة على إنشاء علاقات ناجحة مع العالم المحيط به، لأن الطفل سيختلج أنه سيجتاز من خلالها كل صراعاته الداخلية والخارجية مع العالم الذي يشاركه محنه، وينتصر بانتصارها، وهكذا تتطور شخصيته خلال مسيرة من التوحدات الإيجابية (سال، 1984).

ولابد كذلك من اختيار الشخصيات المنطقية والواقعية التي تخطئ وتصيب، وتنجح وتفشل «لأن استخدام الشخصية المثالية التي لا تعرف الفشل في القصة يمكن أن يصيب الطفل مستقبلاً بخيبة الأمل، حيث يتبين له أن هذا النموذج الذي أعجب به لا وجود له

2 - تتناول قصص الكاتبة عبير أنور العديد من القيم الأخلاقية التي يحتاج إليها الطفل، فهي تعمق إحساس الأطفال بمسؤولياتهم الأخلاقية اتجاه أفراد الأسرة، والجيران، والآخرين، وتعمل على تعديل سلوكياتهم وإشباع بعض رغباتهم، من هذه المجموعات القصصية مجموعة (أريد جداً) التي ناقشت قضية فقد وقضية الاغتراب، وقضية التعايش مع الأديان، وأكثر ما كان يميز مجموعتها أن أبطالها من الأطفال في سن الطفولة المتأخرة، وهم الذين يبادرون بإيجاد الحلول المناسبة لمشكلاتهم ومشكلات الغير، ثم بعد ذلك يجدون الدعم والتشجيع من الكبار إزاء تصرفاتهم السلوكية الحسنة، وعلى الرغم من أن هذه المجموعة لم تكن موجهة بصورة مباشرة إلى أطفال الحروب لكن بالإمكان الاستفادة من بعض معطياتها وتوظيفها بصورة حسنة في سياق جديد يتناسب وواقع طفل الحرب، كما للكاتبة ذاتها مجموعة قصصية بعنوان (قط أسود في الظلام) التي تحتوي على الكثير من المخاوف التي قد تعترض الأطفال وكيفية التصرف حيالها للتخلص منها، وعلى الرغم من تعدد هذه المخاوف فإنها لم تتناول المخاوف التي قد تعترض أطفال الحروب.

3 - وهي مجموعة قصصية تعرف الأطفال في سن الطفولة المتأخرة على مجموعة من المخترعات وأصحابها، وهذه القصص على الرغم من أنها من معلومات علمية عديدة فإنها تفقر إلى عرضها بصورة مشوقة، بل جاء التركيز فيها على الآلات ومهامها وأسباب اختراعها بصورة تلقينية.

4 - وهي قصة تعرف الطفل عن ماهية المشاعر، وما هي الطريقة الصحيحة للتخلص منها، ومن المشاعر التي ذكرتها هي مشاعر الحزن، ومشاعر الغضب، وقد عرضتها بصورة إيجابية خاصة حينما حاولت تحويل هذه المشاعر إلى إنجازات ملموسة تساعد أطرافاً آخرين، ونأمل إتمام مثل هذه السلسلة لتتسع وتشمل المشاعر التي تعترض أطفال الحروب، وكيف يمكن التخلص منها بصورة إيجابية.

في الحقيقة» (رفاعي، 2013: 58). فالحياة الواقعية فيها الخير والشر، ولدى كل إنسان نزعات خيرة وشريرة، وهذه الازدواجية يشعر فيها الطفل في أعماق نفسه فهو يشعر أنه ليس صالحاً دائماً، ويرغب أحياناً أن يكون سيئاً، فحينما نقدم له شخصية مشرقة يشعر في قرارة نفسه بأنه وحش صغير، لذلك لا بد أن تمثل الشخصيات التي يعكسها الأديب في قصصه نوازع الخير والشر حتى يتمثل الطفل القارئ مواقفها واتجاهاتها التي تدفع بشخصيته نحو النضج، وتساعد في الوقت نفسه على إقامة علاقات مرضية مع محيطه (سالم، 1984).

وبهذا، يفضل أن يبتعد الكاتب في القصص الموجهة إلى أطفال الحروب عن الشخصيات المثالية في كل حركاتها وسكناتها، وعليه أن يختار شخصيات تتشابه مع واقع الحروب، تشعر بالخوف والحزن والأسى، ويصيبها الجوع والفقر والموت، وبعض الانتكاسات الصحية الجسدية والنفسية

### ثانياً. الأحداث القصصية:

إن الطفل في هذه المرحلة العمرية يهتم بالمغامرات والبطولات، وقصص المخاطرة والشجاعة (يونس، 2007)، لذلك لا بد أن تتضمن أحداث القصص مغامرات لأطفال «يتسمون بالبطولة، ويتصرفون بكل كفاءة دونما أية مساعدة حقيقية أو إشراف من قبل الكبار» (ناكر، 1990: 160)، فالطفل الذي يعاني من تأثير الحروب في هذه المرحلة يحتاج إلى شخصية قصصية تتقارب مع عمره، وتؤدي أدواراً بطولية تفاجئ الكبار، وتجد دعماً وتعزيزاً وتشجيعاً منهم، حتى يستطيع من خلال ذلك أن يحقق ذاته ويشعر بالإنجاز والاستقلال، لذلك من الضروري أن تبتعد القصص المقدمة إلى الأطفال في هذا العمر عن الوعظ المباشر الذي يتلقونه من الكبار، فما الذي يمنع أن تعكس الأدوار في القصص بين الكبار والصغار، فيكون الطفل في القصة هو القائد الذي يحتكم إليه الكبار، ويستشيرونه في شؤونهم، ويكون قادراً على الإدلاء برؤية فكرية أو خطة تنموية، أو إنجاز يأخذ به الكبار!

والطفل في هذه المرحلة يميل إلى الأحداث الواقعية، ويهتم بالحقائق (طعيمة، 2001)، لذلك لا بد من أن تنتزع القصص من الواقع الحسي للطفل، وأن تعكس المضامين القصصية واقع الطفل بدون تزييف للحقائق أو تشويه، وهذا ما تدعو إليه الكاتبة القصصية (ليندجرين) حينما قالت: «يجب أن يعرف الأطفال أن الحياة تعج بالحزن والشر، وأنها الحياة ليست حكايات سعيدة فقط، وعندما ينشأ الأطفال وهم يدركون رعب الموت، وندم الحرمان، سيكون باستطاعتهم الوصول إلى الضفة الأخرى أقوى» (حجازي، 2003: 18).

ويفضل كذلك توظيف الأحداث والحوارات التي تسهم في عملية الإرشاد والتوجيه النفسي للطفل القارئ، كما فعلت ذلك الكاتبة أماني العشماوي في قصتها (طيري يا طيارة) الفائزة بجائزة اتصالات كتاب الطفل، حيث استطاع طفل أن يوجه طفلة إلى طريقة تساعدها في التخلص من أزمته النفسية من جراء فقدانها لوالديها على الرغم من أنه مر بأزمة نفسية أعنف منها، ولكنه لم يسمح لأحزانه أن تفقده متعة الحياة وسعادتها، بل كان يساعد الآخرين على تخطي أزماتهم النفسية (العشماوي، 2012).

وبناءً على ما سبق يمكن اقتراح بعض المضامين الفكرية التي قد تساعد الأدباء والكتاب في إنتاج مجموعات قصصية تتلاءم وواقع الطفل العربي المعاصر، من تلك المضامين ما يعنى بتغطية ما قد يعترى خصائص نمو مرحلة الطفولة المتأخرة من فجوات، خاصة للأطفال المتأثرين بالحرب بصورة مباشرة، لأن طفل الحرب معرض إلى ما يعيق نموه الحركي والجسدي والحسي، ونموه العقلي والانفعالي والاجتماعي، «فالطفل في حاجة إلى أن يتعلم الكثير حتى يستطيع أن يتفهم مشاكله ويتغلب على الصعوبات التي تواجهه خلال عملية التوفيق بين متطلباته الداخلية النامية وبين مقتضيات الواقع الخارجي» (زلط، 2005: 17).

ففي الجانب الحركي والجسدي والحسي، قد يتعرض الطفل إلى بعض الإعاقات الجسدية التي تحد من حركته، فلا بد من توجيه مضامين قصصية تساعد الطفل على التكيف مع وضعه الصحي الجديد، ويمكن الاستفادة في ذلك من معطيات قصة (الخروج إلى العالم) تأليف: هاي أون شين (2011) التي تتحدث عن طفل معاق استطاع أن يتخطى العراقيل، ويحقق أحلامه، ويمكن الاستفادة كذلك من قصتي (أرى بقلبي) لهديل عمر (2006)، و(كيف نرى الأشياء) هواينج وفرانس وجوزيف (2005)، اللتان تتحدثان عن فاقد البصر، وكيفية تعايشهم مع الآخرين والواقع.

ويفضل التركيز في أثناء بناء القصص الخاصة بهذه المرحلة بالمهارات الحركية التي يمكن أن يؤديها طفل هذه المرحلة، وهذا يعني أن يكثر القاص من الأفعال والأحداث السردية المتلاحقة، دون الإيغال في الوصف الذي يؤدي إلى بطء الحركة.

وفي الجانب الانفعالي لا بد من معالجة جانب تذكر الأحداث المؤلمة لدى الطفل عن طريق المضامين القصصية التي تساعد الأطفال المتأثرين بالحروب على كيفية السيطرة الفعالة والإيجابية على المشاعر الانفعالية، ويمكن اتباع الأساليب العلاجية التي تعتمد على احتواء القصص على بعض الأدوار التمثيلية التي تساعد الطفل على التخلص من بعض مشاعره السلبية كالخوف مثلاً، كما يمكن اتباع وسيلة ملاحظة النماذج، فالطفل يتعلم من خلال ملاحظته لشخصيات القصة كيف يتخلص من المواقف المخيفة، مع ضرورة اختيار شخصيات عادية حتى لا يرى الأطفال النموذج وكأنه يتمتع بصفات خاصة تجعله قادراً على أن يكون شجاعاً (القول، 2006)، ويمكن الاستفادة من معطيات قصة (ابتسامة سما المفقودة) التي تحاول فيها الجارة كوثر أن تعلم الطفلة سما كيف تفرغ مشاعر الحزن بسبب فقدان أبيها، وكيف تتعايش مع واقعها الجديد، ومن الضروري حين تأليف مثل هذه القصص مراعاة سياق البيئة المشابهة لبيئة طفل الحرب، لإكساب الطفل خبرات جديدة مع خبرته السابقة التي شاهدها في الحرب، ليتكيف مع الخبرات الجديدة عن طريق تعديل الأنشطة استجابة لظروف البيئة الجديدة، «فالقاعدة العامة هي تنمية أساليب جريئة وفعالة لدى الطفل في تعامله مع البيئة» (القول، 2006: 19).

وفي هذه المرحلة يمكن تحفيز الجانب العقلي لدى الطفل عن طريق القصص التي تثير فيه التفكير، وكيفية التصرف بذكاء إزاء المواقف العصبية التي يمر بها في سياق الحرب، تلك المواقف لا بد أن تتمثل في العقدة القصصية التي يحتاج حلها إلى ذكاء، كما يمكن التركيز على قصص المغامرات والاكتشافات مع التركيز على السياقات الحربية.

أما في الجانب الاجتماعي فلا بد للمضامين القصصية أن تنمي الوعي الاجتماعي لدى الطفل، فيدرك أنه عضو في جماعة له ما لها، وعليه ما عليها، بحيث تتناول القصص الأطفال الذين يُسهمون مع مجتمعهم في التخلص من الاضطهاد أو الظلم أو الاعتداء عليهم، كما يفضل التركيز في قصص هذه الفترة على القيام بالأنشطة الجماعية لتحقيق هدف مشترك، هدف الخلاص وهدف النجاة، وهدف نشر السلام والمحبة، ويمكن الاستعانة بالقصص الموجهة إلى أطفال فلسطين التي «تبعث الأمل لدى الأطفال بأن هناك إمكانية في الانتصار، وأن التعاون والتكاتف والتعاقد ضروري لتحقيق النصر، ومن ذلك قصة كرمة آخر العنقود، حيث داهمت قوات الاحتلال بيت كرمة، وخربت كل شيء فيه، وكسرت التلفاز الذي كانت تحبه، لكن أطفال الحارة قاموا بتحويل صندوق التلفاز إلى مسرح دمي» (مصلح، 2013: 478).

ومن المفيد أن تحتوي قصص الأطفال المتأثرين بالحروب على مضامين تسد احتياجات الطفل النفسية التي وردت في سلم (ماسلو)، كالتركيز على المضامين التي تسد حاجة الأمن لدى الأطفال، فأكثر ما يمكن أن يهدد توازن الطفل النفسي في هذه الظروف هو الخوف، والخوف بوجه عام يسبب الألم ويشل الفعالية، لذلك يجب أن تأخذ القصص بأيدي الأطفال إلى السلوك السليم، عن طريق عرض قصص تتناول أبطالاً حرموا في فترة من فترات حياتهم من الأمن النفسي أو الأمن المادي الناتج

عن الحروب، ثم كافحوا ونجحوا حتى استطاعوا تحقيق حاجتهم إلى الأمن، ويمكن الاستعانة بشخصيات تاريخية لها ظروف تتشابه مع ظروف طفل الحرب كشخصية قطر، أو استحضار شخصيات عظيمة عاشت يتيمة كالزبير بن العوام، والإمام الشافعي، فمثل هذه القصص تبعث الأمل في نفوس الأطفال لمواجهة مشاكلهم والسبل إلى ذلك، لأن القصة تستثير رغبات الطفل، وتمكنه من التعامل مع المشاكل والخبرات المؤلمة انفعالياً، فتكون القصة متنفساً لما يشعر به من رغبات مكبوتة، كما أنها تعد من الطرق الجيدة في علاج الأطفال الذين يعانون مشاكل نفسية، فعن طريق ما تثيره القصة من خيال يمكن السيطرة على القلق والإحباط الذي يتعرض له الأطفال (رفاعي، 2013)، وذلك لأن الطفل حينما يندمج مع القصة «تتجسد نزعاته ودفاعاته الجسمية فتقترب من شعوره ومجال وعيه ليتخفف اللاشعور من ضغوطه عندما يجد الطفل أن هناك طرقاً وأساليب مقبولة في القصص يمكن من خلالها أن يرى ويعيش ما يخشى التعبير عنه، ذلك لأن القصص تساعده على أن يحول تخيالاته اللاشعورية إلى تصورات، فيستطيع أن يتعامل معها، ويشبعها في مستوى الخيال دون أن يتعرض لعقاب الأنا الأعلى أو الواقع، خصوصاً عندما يصبح قادراً على أن يدرك أن هذه المشاعر والرغبات ليست إلا مجرد تصورات وتأملات فكرية لا تستلزم بالضرورة الاصطدام المباشر بالواقع، ولأنها وهي في هذا المستوى لا تخرج عن مطالب الأنا والأنا الأعلى» (السيد، 1994: 7).

والطفل المتأثر بالحروب يحتاج إلى جرعات من الحب والحنان والشعور بالانتماء أكثر من الطفل الذي يمر بظروف عادية، فأكثر ما يؤلم الطفل في هذه الظروف أنه منبوذ من قبل النظام السياسي أو الدول الأخرى ومجتمعاتها، لذلك لا بد من التركيز على المضامين القصصية التي تتناول علاقات المحبة بين أفراد الأسرة والمجتمع، وبين السلطة والشعب لأنها تشعره بالسعادة، وتغرس في نفسه الاتجاهات الطيبة نحوهم ولا بد كذلك من تعزيز حاجة الانتماء إلى أطفال الحروب سواء نحو وطنه أو والديه أو أقربائه أو أصدقائه ليعتز بهم، ويتقبل مبادئهم، ويدافع عنها، فالقصة تستطيع أن تشبع الطفل وحركته داخل هذه الدوائر كلها.

وظف الحرب يحتاج إلى التقدير، وإلى تحقيق الذات، خاصة أنه يتعرض إلى ظروف تشعره بالضعف أو النقص، كفقدانه العائل الوحيد، أو فقدانه أحد أعضائه أو حواسه، الأمر الذي يؤدي بعض الأحيان إلى السلوك العدواني، لذلك لا بد من تناول القصص التي تعزز في الطفل الاستقلال وتوجهه إلى بدائل يمكن من خلالها إنجاز بعض المهام في نفس ظروف الحرب دون الاتكال على الآخرين، حتى يشعر بالتقدير ومن ثم تحقيق ذاته، كتناول شخصيات قصصية لها أدوار إيجابية في الظروف الحربية، لأن الطفل الذي لا يستطيع أن يحقق ذاته في واقع الحياة قد يجدها من خلال أبطال القصص التي يقرأها، وخاصة إذا كانت لهذه الشخصية ظروف مشابهة لطفل الحرب، لأنها تبعث في نفس الطفل إحساساً بالأمن بأن هذه الظروف لن تكون عائقاً أمامه.

أما القصص التي توجه للأطفال المتأثرين بالحروب بصورة غير مباشرة فلا بد أن تجيب عن تساؤلاتهم الخاصة بأطفال الحروب، كيف يعيش هؤلاء الأطفال، ما هو مستقبلهم، كيف يدرسون، كيف يحصلون على الطعام والشراب، كيف يتعايشون مع أصوات الانفجارات، كيف يمكن تقديم المساعدة إليهم، لذلك لا بد أن تتضمن القصص الأحداث والشخصيات التي تجعل هؤلاء الأطفال يتعاطفون مع سيئي الحظ والمنكوبين والاشقياء في حياتهم، وتجعلهم يرثون لأشكال العجز التي تصيب بعضهم، فيقدمون لهم المساعدة والعون التي من خلالها يعبرون عن حبهم لهم، وتجدر الإشارة إلى أن الكاتبة (لينا الكيلاني) قد تعرضت في إحدى قصص مجموعتها (في عيون الليل: أطفال في خطر) عن مخاوف الأطفال الذين يشاهدون الحروب، تحت عنوان (الحروب - وتهديد الغروب)، وكان الليل آنذاك يراقب ويصغي لحماس الأطفال في أثناء مشاهدة أطفال آخرين يعيشون ظروفًا حربية، ويشاهدون كيفية تجنيدهم، فاضطر إلى فصل التيار الكهربائي عنهم بعدما شاهد الخوف والرعب في عيونهم، ثم انتقل الليل إلى منطقة

الحرب نفسها، وتلمس ظروف الأطفال هناك، وبدأ في الإجابة عن بعض تساؤلات الأطفال الذين يشاهدون مآسي الحروب (الكيلاني، 2009).

كما تجدر الإشارة إلى قصة (سمكة حلمت بها) لغيدا اليمن، وهي من القصص المتميزة التي ناقشت إحدى التساؤلات الأساسية التي تطرأ على الأطفال بصورة عامة، وهي تساؤلات الموت، فهذه القصة تناقش قضية الموت ولماذا يموت الناس، وأين يذهب الناس بعد الموت، بأسلوب قصصي مشوق وجذاب، وهي من التساؤلات التي تعترى الأطفال، ويحتاجون إلى إجابات مقنعة لها. ومثل هذه التساؤلات لا بد أن تضمن في القصص الموجهة إلى أطفال الحروب (اليمن، 2015).

ويمكن توظيف بعض الأساليب العلاجية النفسية في القصص الموجهة إلى الأطفال المتأثرين بالحروب، والتي من أبرزها (السيكودراما)، ومن فنياتها مناجاة النفس، حيث تشجع القصة الطفل على أن يفكر بصوت مرتفع ليعبر عن مشاعره المكبوتة والمولدة لصراعاته، وبذلك تساعد على عملية التفريغ التنفيسي ليتمكن من تعديل سلوكياته (رفاعي، 2013)، كما يمكن الاستفادة من نظرية باندورا في فن التعلم الاجتماعي أو التعلم بالقوة والملاحظة أو التعلم بالأنموذج، فالطفل كما ذكرنا في هذه المرحلة يهتم بالتوحد مع شخصية يظنها القدوة، لذلك لا بد من اختيار شخصيات تمثل القدوة لهذا الطفل ليتوحد معها، فإذا كانت القدوة (أو الأنموذج) قوية ناجحة طبقاً للمعايير السائدة سهل تعلم السلوكيات التي تصدر عنها، فغالباً يقتدي الأطفال بتصرفات الأشخاص الناجحين أكثر من الأشخاص الفاشلين، والتعلم بالنموذج يفيد غالباً في علاج حالات القلق والعدوان وبعض المخاوف المرضية، كما يساعد الطفل على اكتساب مهارات اجتماعية (رفاعي، 2013).

وفي الختام قد يطراً تساؤلٌ حول كيفية إيصال مثل هذه القصص لمن يعاني من آثار الحروب بصورة مباشرة، خاصة أن الأطفال الذين يعانون من آثارها هم بحاجة إلى إشباع حاجاتهم الفسيولوجية من طعام وشراب ومسكن أكثر من احتياجهم إلى القصص، ولكن لو تأملنا أن العلاج النفسي لطفل الحروب لا يقل أهمية عن الحاجات الفسيولوجية سيجعل اللجان المسؤولة أو الجمعيات الخيرية تولي اهتمامها لمشاريع تختص بهذا الجانب، فيتم بذلك ملء وبناء الطفل من كافة جوانبه، وسد كافة الثغرات الفسيولوجية والنفسية التي يعاني منها. لذلك تدعو هذه الدراسة إلى إنشاء لجان خاصة بأدب أطفال الحروب تعنى بالتأليف والنشر والتوزيع.

## المراجع

- إبراهيم، عبد الستار، والدخيل، عبد العزيز، وإبراهيم، رضوان (1978). العلاج السلوكي للطفل، الكويت: مجلة عالم المعرفة.
- أحمد، سهير (2002). سيكولوجية نمو الطفل: دراسات نظرية وتطبيقات عملية، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.
- أرمينيان، هاروت (1986). الحرب والأطفال في العالم العربي، الكويت: الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية، الكتاب السنوي الثالث.
- أنور، عبير محمد (2014). أريد جداً وقصص أخرى، لبنان: الدار النموذجية للطباعة والنشر، المجلد (1)، عدد الصفحات: 28.
- أنور، عبير محمد (2014). قط أسود في الظلام وقصص أخرى، لبنان: الدار النموذجية للطباعة والنشر، عدد الصفحات: 28.
- تاكر، نيكولاس (1990). الطفل والكتاب: دراسة أدبية ونفسية، ترجمة: مها حسن، سوريا: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- حجازي، فؤاد (2003). الجمال في قصص الأطفال، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 123.
- خضر، فوزي محمود، وبابكر، لطفي أحمد (1428هـ/2007م). المدخل إلى أدب الأطفال، جدة: السعودية، حوارزم العلمية للنشر والتوزيع.

- الخطيب، إيمان فؤاد (2014). *أنا أحس أنا إنسان*، لبنان: دار المؤلف للطباعة والنشر، 48.  
 الدنيا، محمد مصطفى (1994). *أطفال الحرب، مجلة شؤون اجتماعية*، ع 44، 197-202.  
 رفاعي، ناريمان (2013). *الإرشاد والعلاج النفسي في بعض قصص الأطفال، مجلة الإرشاد النفسي*، 35، 39-73.  
 زلط، أحمد (2005). *في أدب الطفل المعاصر: قضايا واتجاهاته ونقده*، مصر: هبة النيل العربية.  
 زهران، أيمن (2014). *محمود ناصر، فاعلية أسلوب القصة في رفع معدلات الصلابة النفسية لدى عينة من التلاميذ اليتامى من ذوي الاحتياجات الخاصة، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس*، 54، 137-157.  
 سالم، ليلي (1984). *أدب الأطفال بين الوعي والخيال، مجلة الموقف الأدبي*، 159، (160)، 114-121.  
 سمارة، عزيز، والنمر، عصام، والحسن، هشام (1989). *سيكولوجية الطفولة*، الأردن: دار الفكر.  
 السيد، صالح (1994). *القصص الشائعة عند الأطفال وعلاقتها بأزمات النمو النفسي، مجلة علم النفس*، 29، 6-25.  
 الشيمي، داليا (2009). *يوميات أخصائية نفسية. تأثير إعلام الحروب على الأطفال*، متاح على: <http://3ain3alabokra.com/article-216.html> تاريخ الدخول: 2015/8/1.  
 شين، هاي أون (2011) *الخروج إلى العالم*، ترجمة: غسان شبارو، لبنان: الدار العربية للعلوم (ناشرون).  
 صبري، محمد (2014). *اختراعات وراءها قصص*، لبنان: الدار النموذجية للطباعة والنشر.  
 طعيمة، رشدي (2001). *أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية*، الأردن: دار الفكر.  
 الفوال، محمد (2006). *مقاومة الخوف والسلوك الفردي عند الأطفال*، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر: ثقافة الخوف.  
 عبد الله، محمد (2001). *قصص الأطفال ومسرحهم*، مصر: دار قباء.  
 عبد الوهاب، سمير (2006). *أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية*، عمان: دار المسيرة.  
 عرفة، مجدي (1984). *من مدارس ونظريات علم النفس المعاصر: أبراهام ماسلو، مجلة الإنسان والتطور*، 17.  
 العشماوي، أماني (2012). *طيري يا طيارة*، مصر: دار نهضة مصر.  
 علي، حبيب الله (2013). *أدب الأطفال دراسة نقدية في السمات العامة، مجلة دراسات وأبحاث*، 10، 164-176.  
 عمر، هديل (2006). *أرى بقلبي*، ط2، لبنان: دار العلم للملايين.  
 عويس، عفاف (1994). *ثقافة الطفل بين الواقع والطموحات*، مصر: مكتبة الزهراء.  
 عويس، عفاف (2003). *النمو النفسي للطفل*، الأردن: دار الفكر.  
 كفاقي، علاء (1998). *رعاية نمو الطفل*، مصر: دار قباء.  
 الكيلاني، لينا (2009). *في عيون الليل: أطفال في خطر*، القاهرة: الدار العربية للكتاب.  
 مرسي، محمد (2004). *تأثير النزاعات المسلحة على الأطفال عبر الفضائيات، مجلة التربية*، 148، 300-311.  
 مصلح، روز (2013). *الاحتلال وأدب الأطفال الفلسطيني، مجلة شؤون فلسطينية*، 253، 254، 376-383.  
 الملحم، إسماعيل (1979). *الأطفال والأدب منطلقات سيكولوجية وتربوية، مجلة الموقف الأدبي*، 103، 47-54.  
 نجيب، أحمد (1979). *اتجاهات معاصرة في كتب الأطفال*، مصر: المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية.  
 نذر، فاطمة (2000). *الحروب واضطراب السلوك عند الأطفال وكيفية التعامل مع الأزمات، المجلة التربوية*، 54، 142-168.  
 هليل، محمد (2005). *علم نفس النمو*، مصر: مكتبة دار العلم.  
 هواينج، فرانس، وجوزيف (2005). *كيف نرى الأشياء*، ترجمة: هالة شريف، مصر: دار البستاني.  
 الهيبي، هادي (2003). *النزاعات المسلحة: من تأثيراتها المباشرة في الأطفال إلى تأثيرات الفضائيات فيهم، مجلة الطفولة والتنمية*، 9(3)، 131-141.  
 اليم، غيدا (2015). *سمكة حلمت بها*، لبنان: أكاديميا إنترناشيونال.  
 يونس، فتحي (2007). *أدب الأطفال*، المؤتمر العلمي السابع: صعوبات تعلم القراءة بين الوقاية والتشخيص والعلاج، 2.